

ذكرى المغفور له

أمين الرافعي بك

للاستاذ على عبد الله



كان اليوم التاسع والعشرون من ديسمبر الماضي موعد الذكرى الخامسة عشرة لوفاته فقيد الوطن المغفور له أمين الرافعي بك

وليس أحق بالتكريم ولا أولى بالوفاء من ذكرى هذا الرجل الذي عاش حياته كلها يدافع عن الحق ويدعو إلى الله على بصيرة ، ويبذل من ماله ومن دمه في سبيل أمته ما ليس وراءه غاية لمريد ، ولا زيادة لمستريد . ولو عرفنا أقدار الرجال بالمعنى الذي ترفقه الأمم الأخرى ، لجعلنا ذكرى وفاة هذا المجاهد الصادق يوماً من أيام القومية المصرية ، ولاتخذنا حياته الحافلة بالعظائم والجلال نموذجاً لكمال الأخلاق ، وشرف التضحية ، والنزاهة المطلقة ، وجعلنا من سيرته العاطرة كتاباً في الوطنية يدرسه الناشئون ، ويسير على قواعده العاملون !

ولكننا من سوء الحظ نؤمن بالمظاهر دون الحقائق ، ولا نعرف رقيم الرجال إلا بمقدار ما لهم من الحول والطول ، وما حولهم من المتاع والحطام ! ولست أدري كيف ترجو الخير أمة تنسى حقوق أبنائها الذين استشهدوا في ميدان التضحية ، وكتبوا صحائف جهادها الوطني بمداد من دماهم ، وقطرات من دبوب نفوسهم ! ومن المؤلم حقاً أن يوجد في الأمة المصرية من يجهل فضل أمين الرافعي عليها ، وهو رجل يعتبر تاريخه تاريخاً للحركة الوطنية في جميع أدوارها ؛ إذ كان له في كل ميدان جولة ، وفي كل معترك صولة ؛ وكان قلبه سيفاً في يد الحق ، إذا تصدى للباطل زهق ، وإذا انبرى للطغيان مرق ؛ كأنما كانت تؤيده السماء بالتوفيق ، وتمده القدرة بالإلهام ، ويوجهه الإيمان إلى السداد . ما عالج موضوعاً إلا أصاب الهدف ، ونفذ إلى الصميم ، وانتهى منه إلى الغاية المرجوة ، لا سلاح له غير الحججة البالغة ، والدليل الواضح ، وقواعد البحث الدقيق ،

وقضايا المنطق السليم !

٢٠٠٢

ولقد كان أمين عليه رحمة الله الكاتب الوحيد الذي حفظ الله قلبه من العثار ، وعصم لسانه من الفحش ؛ فما جارت الخصومة في يوم من الأيام على أخلاقه ولا ورطته العدواة في الكتابة إلى كلمة نابية أو عبارة مؤذية لا يرضى عنها الخلق ، ولا يطمئن إليها الضمير . على أنه لم يكن يخاصم إلا في الله والوطن والحق . ولم تعرف له في حياته خصومة شخصية ، لأنه كان ينظر إلى زخارف هذه الدنيا بعين الزهد والاحتقار . ولقد حاول الكثيرون أن يشتروا قلبه أو يخففوا من حدته بالكثير من المال والجاه فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً . وعرضت عليه وظائف الدولة الكبرى ، فكان جوابه : (لا تقصدوا عليّ إيماناً ؛ فأنا لم أخلق لهذه الوظائف) وكان نعم العون للمرحوم سعد باشا زغلول ؛ وكان سعد يؤثره برسائله وهو مع الوفد في باريس ويبدأ كتبه إليه بقوله : أخي أمين ! . . .

وحينما اختلف معه في مبدأ المفاوضات ، كان سعد مع ذلك يثق به ويلقبه بالخصم الشريف ، والرجل النزيه . وكان يستعير منه الوثائق الخاصة بتسجيل أعمال الوزارات . ولما نفي إلى سيشل كان أمين أول المدافعين عنه مع اختلافه معه في الرأي ، كما كان أول من نقد طريقة وضع الدستور . وفي ذلك يقول سعد باشا : إن أميناً كأنما كان يستلمني ما يكتبه . . . ومن مفاخر أمين التي تدل على التضحية والشجاعة أنه في سنة ١٩١٤ حينما أعلنت إنجلترا الحماية على مصر وقضت الأحكام العرفية على الصحف بنشر البلاغات الرسمية ومنها بلاغ الحماية ، لم يشأ أمين أن ينشر في جريدة الشعب - الذي كان يتولى تحريرها في ذلك الحين - بلاغ الحماية ، وقرر تعطيلها من تلقاء نفسه لكيلا ينشر فيها هذا البلاغ ، ورضى بما ترتب على ذلك من السجن والاعتقال ، وقضى مدة السجن صابراً راضياً وخرج منه مؤمناً قوى النفس والقلب . ونستطيع أن ندرك مبلغ التضحية إذا عرفنا أن جريدة الشعب كانت كل شيء في البلد لأنها كانت جريدة الحركة الوطنية ، وكان الشعب يتلقف أعدادها بشوق وشغف . ثم نستطيع أن نؤمن بالرجولة الكاملة حين نعرف أن أمين الرافعي كان الرجل الوحيد الذي احتج على بلاغ الحماية البريطانية بعدم نشره ! !

وفعل ما يأمر به الضمير . وما عدا ذلك فليدعه الله تعالى لأنه من خصائصه وشئونه . وإذا كان في تأدية الواجب ما يورث الألم ، فيجب أن يتحمل الإنسان الألم بغير مضى . لأن الآلام موجودة في هذا العالم ولكل مخلوق نصيبه منها »

وكان أمين عليه رضوان الله يستفتح يومه بتلاوة القرآن ويدعو بدعاء الرسول عليه السلام : « اللهم أجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، سلماء لأوليائك ، حرباء لأعدائك . نجب بحبك من أحبك ، ونمادى بمداوتك من خالفك . اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة . وهذا الجهد ، وعليك التكامل » ثم يتلو هذه الآية الكرمة (قل بفعل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

وبعد ، فهذا قليل مما أعرفه عن هذا الرجل العظيم أكتبه في مناسبة ذكراء الكرمة ، وأبث إلى روحه في مقاعد الصديقين والأبرار بأعطر التحيات وأطيب السلام
(المنصورة)
عليه عبد الله

ومن أعظم الأمثلة الدالة على عبقرية وسعة علمه بالشئون الدستورية — أنه الصحفي الوحيد الذي نبه الأمة والزعماء والأحزاب إلى أن قرار حل مجلس النواب يعتبر باطلاً لأنه لم يحدد فيه موعد الانتخاب والتاريخ الذي يجتمع فيه المجلس . وما دام البرلمان لم يدع فإن من حقه أن يستأنف وجوده ؛ لأن قرار الحل يعتبر ملغى . وأخذ الزعماء بهذا الرأي واجتمع البرلمان في فندق الكونتنتال في يوم السبت الثالث من نوفمبر سنة ١٩٢٥ واتحدت الأمة والأحزاب ، وعادت الحياة النيابية إلى البلاد ، وانتفع الجميع بفضل هذا الرأي ما عدا أمين الرافى فقد كان الشخص الوحيد الذي لم ينتفع بشيء من هذا ، واكتفى من كل ذلك بقوله : « لقد سررت بإتخاذ الدستور وفوز الأمة وارتاح ضميري ارتياح من يشعر بأن الله قد وقفه إلى دعوة صالحة كتب لها التحقيق والنجاح ! »

وفي وسعنا أن نعرف مبلغ إيمان أمين وثباته من قوله : « يرى المؤمن الثابت العقيدة أن عقيدته مقدسة لا تحتل تفريطاً ولا زعزعة ، وأن لها من ضميره حارساً قوياً ، فإذا وسوس له الشيطان أن يهمل هذه العقيدة على أية صورة من الصور ، كان صوت الضمير وحده كافياً لأن يقطع على الشيطان وسوسته ويرده مدحوراً . وإذا ما تقدم خصوم العقيدة الثابتة بأموالهم الوفيرة ، وهباتهم العظيمة ، وعودهم الخلابه ؛ كي يلعبوا بالمقول وزعزعوها الإيمان ، وجدوا من بقطة ضمير المؤمن أكبر مخيب لأمالهم ؛ لأن هذا الضمير الخالص الذي لا يخضع للماديات ولا يتأثر بآثرها الفسد لا يلبث أن يصيح بصاحبه : إياك والانخداع بما يرضون عليك مهما عظم شأنه ، فإن كنوز الأرض لا تعدل شرف الإنسان . ومتى استطاع المرء أن يحتفظ بشرفه فكل ما يفقده بعد ذلك لا يقام له وزن . لأن الحياة الشريفة يمكن احتمالها مهما بلغت مرارتها ، أما الحياة المجردة من الشرف فإنها لا تساوى قلامة ظفر . وليست أيام الجهود والتعب والألم أسوأ أيام الإنسان . ويكفى صاحب المبدأ تشجيعاً أن ينال شيئاً من الكفاة المعنوية بأن يرى مبدأه يصيب بعض الفوز ...

ومن المقرر أن المرء لا يجوز أن يشغل نفسه بمستقبل نفسه متى كان ضميره مرتاحاً وروحه مطمئنة وشماره القيام بالواجب ،

إلى هواة المغناطيسية

وإلى المهامين بالاضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية من شرح طرق وتدريبات تملك كيف تتخلص من الخوف والوهم والحجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن الملل والآلام الجسدية وفي تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسي والحصول على دبلوم في هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصري بقمرة بمصر وارفق بطلبك ٣٠ ملياً طوابع المصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .